

الشيخ: مثلما قال الله في المحاربين -في قطاع الطريق- إِلَّا الَّذِينَ تَأْبُوا مِنْ قَبْلٍ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ [المائدة:34]، ومثلما عفا الرسول عن عبدالله بن سعد لما جاء تائباً، وكان من يسب النبي ﷺ، فعفا عنه وقبله وبايده ﷺ.

س: مَنْ فَرَقَ بَيْنَ سَبِّ الرَّسُولِ وَبَيْنَ سَبِّ الرَّبِّ؟

ج: لا أعلم فرقاً، كلها ردة شعناء.

س: في قبول النوبة: مَنْ سَبَّ اللَّهَ ثُقِّلَ توبَتْهُ، وَمَنْ سَبَّ الرَّسُولَ لَا تُثْقِلُ؟

ج: بعضهم يُفرّق؛ لأن سبّ الرسول حقّ آدمي، بخلاف سبّ الله فهو حقّ الله، والله جلّ وعلا يغفر ويصفح، هذا وجه التفرّق، والشيخ تقى الدين رحمه الله بسط الكلام في "الصارم المسلط".

س: ألا يكون سبّ الرسول أيضاً سبّاً لله؟

ج: لا، سبّ الرسول في الضمن تكذيب، والأقرب والله أعلم أنّ من جاء تائباً نادماً؛ لأن الشّرك أعظم السّبّ، الشّرك بالله وعبادة غيره من أعظم السّبّ، نسأل الله العافية، فإذا جاء تائباً فالحمد لله.

فصلٌ

في ذكر سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى ختم

وَكَانَتْ فِي صَفَرٍ سَنَةً تِسْعَ.

قال ابن سعيد: قالوا: بعث رسول الله قطبة بن عامر في عشرين رجلاً إلى حيٍّ من خضمِ بنايةٍ تبالة، وأمره أن يشن الغارة، فخرجوها على عشرةٍ يعتقبونها، فأخذوا رجلاً فسأله، فاستعجم عليهم، فجعل يصبح بالحاضرة ويحدّرُهم، فضرموا عُنْقه، ثم أقاموا حتى نام الحاضرة، فشنوا عليهم الغارة، فاقتتلوا قتلاً شديداً حتى كثُرَ الجرح في الفريقين جميعاً، وقتل قطبة بن عامر من قتل، وساقوا الثعَمَ والنِّسَاءَ والشَّاءَ إلى المدينة.

وفي القصة أنه اجتمع القوم وركبوا في آثارهم، فأرسل الله سبحانه عليهم سيلًا عظيمًا حال بينهم وبين المسلمين، فساقوا النعم والنِّسَاءَ والشَّاءَ والسيّي وهم يتظرون، لا يستطيعون أن يعبروا إليهم، حتى غابوا عنهم.

الشيخ: يا أيها الذين آمنوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُئْتِيَ أَفْدَامَكُمْ [محمد:7]، يُرى الله عباده العبر: ولَيُنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [الحج:40].

فصلٌ

ذكر سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلىبني كلاب في ربيع الأول سنّة تسع

قَالُوا: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِئْشًا إِلَى بَنِي كَلَابٍ، وَعَلَيْهِمُ الضَّحَاكُ بْنُ سَفِيَانَ بْنَ عَوْفِ الطَّائِي، وَمَعَهُ الْأَصِيدُ بْنُ سَلْمَةَ، فَلَقُوْهُم بِالزَّجِّ -رَجِّ لَاوَةَ- فَدَعَوْهُم إِلَى الإِسْلَامِ فَأَبَوَا، فَقَاتَلُوهُمْ، فَهَزَّ مُوْهُمْ، فَلَحِقَ الْأَصِيدُ أَبَاهُ سَلْمَةَ، وَسَلْمَةَ عَلَى فَرِسِّهِ لَهُ فِي غَدِيرِ بِالزَّجِّ، فَدَعَاهُ إِلَى الإِسْلَامِ وَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ، فَسَبَّهُ وَسَبَّ دِيَنَهُ، فَضَرَبَ الْأَصِيدُ عُرْقُوبِيَّ فَرِسَ أَبِيهِ، فَلَمَّا وَقَعَ الْفَرَسُ عَلَى عُرْقُوبِيَّ ارْتَكَزَ سَلْمَةُ عَلَى الرُّمْحِ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ اسْتَمْسَكَ حَتَّى جَاءَ أَحَدُهُمْ فَقَتَلَهُ، وَلَمْ يَقْتُلْهُ أَبُوهُ.

فَصْلٌ

ذِكْرُ سَرِيَّةِ عَلْقَمَةَ بْنِ مَجْزَرِ الْمَدْلُجِيِّ إِلَى الْحَبَشَةِ سَنَةَ تِسْعَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ

قَالُوا: فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْحَبَشَةِ تَرَايَاهُمْ أَهْلُ جَدَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَجْزَرَ فِي ثَلَاثِمَنَةِ، فَأَنْتَهَى إِلَى جَزِيرَةِ فِي الْبَحْرِ، وَقَدْ خَاصَّ إِلَيْهِمُ الْبَحْرَ فَهَرَبُوا مِنْهُ، فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِيْهِمْ، فَلَمَّا لَهُمْ، فَتَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمْرَاهُ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ، وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ، فَنَزَلُوا بِبَعْضِ الْطَّرِيقِ، وَأَوْقَدُوا نَارًا يَصْنَطُلُونَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: عَزَّمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَوَاثِبُنُّ فِي هَذِهِ النَّارِ، فَقَامَ بَعْضُ الْقَوْمِ فَتَجَهَّزُوا، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُمْ وَاثِبُونَ فِيهَا، فَقَالَ: اجْلِسُوا، إِنَّمَا كُنْتُ أَضْنَخُ مَعَكُمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ أَمْرَكُمْ بِمَعْصِيَةِ فَلَا تُطِيعُوهُ.

فُلْتُ: فِي "الصَّحَاحَيْنِ" عَنْ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا، فَأَغْضَبُوهُ، فَقَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أُوفِدُوكُمْ نَارًا، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَسْمَعُوا لِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَادْخُلُوهَا، فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَزْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّارِ! فَكَانُوا كَذَلِكَ حَتَّى سَكَنَ غَصَبُهُ وَطَفِقَتِ النَّارُ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، وَقَالَ: لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ.

فَهَذَا فِيهِ أَنَّ الْأَمِيرَ كَانَ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي أَمْرَهُ، وَأَنَّ الْغَضَبَ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ" عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَيِ الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: 59]، قَالَ: نَزَلْتُ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسٍ بْنِ عَدَى، بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ: إِنَّمَا أَنْ يَكُونَا وَاقِعَتِينَ، أَوْ يَكُونَ حَدِيثُ عَلَيِّ هُوَ الْمَحْفُوظُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الشيخ: وهذه قاعدة: أنَّ السمع والطاعة إنما يكون في المعروف: "لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق"، إذا غضب أو كان له هوى وأمر بمعصية الله لا يسمع له ولا يطاع، ولو كان أميرًا: إنما الطاعة في المعروف، قال الله في حق نبيه: وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ [المتحنة: 12]، قد يغضب الأمير، وقد يكون ضعيف الدين، فلا يطاع في المعاشي، إنما الطاعة في المعروف.

س:؟

ج: محتمل، والله أعلم.

فصلٌ

في ذكر سريّة عليّ بن أبي طالبٍ إلى صنم طيٍ ليهدمه في هذه السنة

قالوا: وبعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالبٍ فـي ملة وخمسين رجلاً من الأنصار على ملة بغير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء، ولواء أبيض إلى القدس - وهو صنم طيٍ لـيهدمه، فشلوا الغارة على محله آل حاتم مع الفجر فـهدموه، وملأوا أيديهم من السبي والنعيم والشاء، وفي السبي أخْ عديٌ بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام، ووجدو في خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدراج، فاستعمل على السبي أبو قادة، وعلى الماشية والرثة عبدالله بن عتيك.

الشيخ: والرثة عليها شيء؟

الطالب: ما عليها شيء.

طالب آخر: والرقة.

الشيخ: لعلها الفضة يعني.

وعلى الماشية والرقة عبدالله بن عتيك، وقسم الغنائم في الطريق، وعزل الصفي لـرسول الله ﷺ، ولم يقسم عليٌ آل حاتم حتى قدم بهم المدينة.

قال ابن إسحاق: قال عديٌ بن حاتم: ما كان رجلٌ من العرب أشد كراهيّة لـرسول الله ﷺ مـنِّي حين سمعت به ﷺ، وكـنـتـ اـمـرـءـاـ شـرـيفـاـ، وـكـنـتـ نـصـرـانـيـاـ، وـكـنـتـ أـسـيرـاـ فـي قـوـمـيـ بـالـمـرـبـاعـ، وـكـنـتـ فـي نـفـسيـ عـلـى دـيـنـ، وـكـنـتـ مـلـكاـ فـي قـوـمـيـ، فـلـمـا سـمـعـتـ بـرـسـوـلـ اللهـ ﷺ كـرـهـهـ، فـقـلـتـ لـغـلامـ عـرـبـيـ كـانـ لـيـ، وـكـانـ رـاعـيـاـ لـإـلـيـ: لـا أـبـا لـكـ، اـعـدـدـ لـيـ مـنـ إـلـيـ أـجـمـالـاـ ذـلـلـاـ سـمـانـاـ فـاحـسـسـهـ قـرـيبـاـ مـنـيـ، فـإـذـا سـمـعـتـ بـجـيـشـ لـمـحـمـدـ قـدـ وـطـيـ هـذـهـ الـبـلـادـ فـأـذـنـيـ، فـقـعـلـ، ثـمـ إـنـهـ أـتـانـيـ ذـاتـ غـدـاءـ فـقـالـ: يـا عـديـ، مـا كـنـتـ صـانـعـاـ إـذـا غـشـيـتـ خـيـلـ مـحـمـدـ فـاصـنـعـهـ الـآنـ، فـإـنـيـ قـدـ رـأـيـتـ رـأـيـاتـ، فـسـأـلـتـ عـنـهـ فـقـلـوـاـ: هـذـهـ جـيـوشـ مـحـمـدـ، قـالـ: فـقـلـتـ: فـقـرـبـ إـلـيـ أـجـمـالـيـ، فـقـرـبـهـاـ، فـاحـتـمـلـتـ بـأـهـلـيـ وـلـدـيـ، ثـمـ قـلـتـ: الـحـقـ بـأـهـلـ دـيـنـيـ مـنـ النـصـارـىـ بـالـشـامـ، وـخـلـفـتـ بـنـتـاـ لـحـاتـمـ فـيـ الـحـاضـرـةـ، فـلـمـا قـدـمـتـ الشـامـ أـقـمـتـ بـهـاـ، وـثـحـالـفـيـ.

الشيخ: وثحالفني.

وـثـحـالـفـيـ خـيـلـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ فـتـصـيـبـ اـبـنـةـ حـاتـمـ فـيـمـ أـصـابـتـ، فـقـدـمـ بـهـاـ عـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ فـيـ سـبـاـيـاـ مـنـ طـيـ، وـقـدـ بـلـغـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ هـرـبـيـ إـلـيـ الشـامـ، فـمـرـ بـهـاـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ، فـقـلـتـ: يـا رـسـوـلـ اللهـ،

غَابَ الْوَافِدُ، وَانْقَطَعَ الْوَالِدُ، وَأَنَا عَجُورٌ كَبِيرَةُ، مَا يَبْيَسُ مِنْ خِدْمَةٍ، فَمُنَّ عَلَيَّ مَنْ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ، قَالَ: مَنْ وَافِدُكِ؟ قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: الَّذِي فَرَّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ قَالَتْ: فَمُنَّ عَلَيَّ، قَالَ: فَلَمَّا رَجَعَ وَرَجُلٌ إِلَى جَنِيهِ -يَرَى أَنَّهُ عَلَيْهِ- قَالَ: سَلِيْهُ الْحُمَلَانَ، قَالَتْ: فَسَالَتْهُ، فَأَمَرَ لَهَا بِهِ.

قَالَ عَدِيٌّ: فَأَنَّتِي أُخْتِي فَقَالَتْ: لَقَدْ فَعَلَ فِعْلَةً مَا كَانَ أَبُوكَ يَفْعُلُهَا، اتَّهِ رَاغِبًاً أَوْ رَاهِبًاً، فَقَدْ أَتَاهُ فُلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ، وَأَتَاهُ فُلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ.

قَالَ عَدِيٌّ: فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: هَذَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، وَجِئْتُ بِغَيْرِ أَمَانٍ وَلَا كِتَابٍ، فَلَمَّا دُفِعْتُ إِلَيْهِ أَخْذَ بِيَدِي، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَالَ: إِنِّي أَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ يَدَهُ فِي يَدِي، قَالَ: فَقَامَ لِي، فَأَقِيتُهُ امْرَأَةً وَمَعَهَا صَبِيًّا، فَقَالَا: إِنَّ لَنَا إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَامَ مَعَهُمَا حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُمَا، ثُمَّ أَخْذَ بِيَدِي حَتَّى أَتَى دَارَةً، فَلَقْتُ لَهُ الْوَلِيدَةَ وَسَادَةً، فَجَلَسَ عَلَيْهَا، وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَنْتَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا يُفِرُّكَ؟ أَيْفَرُكَ أَنْ تَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ سِوَى اللَّهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا تَقْرُأُ أَنْ يُقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَهُلْ تَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ النَّصَارَى ضَالُّونَ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنِّي حَنِيفٌ مُسْلِمٌ، قَالَ: فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ يَنْبَسِطُ فَرَحًا، قَالَ: ثُمَّ أَمَرَنِي فَأَنْزَلْتُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَجَعَلْتُ أَغْشَاهُ، أَتَيْهُ طَرَفَيِ النَّهَارِ.

قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ إِذْ جَاءَ قَوْمٌ فِي ثِيَابٍ مِنَ الصُّوفِ مِنْ هَذِهِ النِّمَارِ، قَالَ: فَصَلَّى وَقَامَ فَحَثَّ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْضَحُوا مِنَ الْفَضْلِ وَلَوْ بِصَاعٍ، وَلَوْ بِنَصْفِ صَاعٍ، وَلَوْ بِقِبْضَةٍ، وَلَوْ بِعَضْ قِبْضَةٍ، يَقِي أَحَدُكُمْ وَجْهُهُ حَرَّ جَهَنَّمَ -أَوِ النَّارِ- وَلَوْ بِتَمْرَةٍ، وَلَوْ بِشَيْقَ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِي كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا قِيَ اللَّهُ، وَقَائِلٌ لَهُ مَا أَقُولُ لَكُمْ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالًا وَوَلَدًا؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَيْنَ مَا قَدَّمْتُ لِنَفْسِكَ؟ فَيَنْتَرُ قُدَّامَهُ وَبَعْدَهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ شَيْئًا يَقِي بِهِ وَجْهُهُ حَرَّ جَهَنَّمَ، لِيَقِي أَحَدُكُمْ وَجْهُهُ النَّارَ وَلَوْ بِشَيْقَ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ.

الشيخ: وأصل هذا الحديث في "الصحابيين" من حديث عديٌّ رضي الله عنه، عن النبي عليه الصلاة والسلام، قال: ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربُّه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشقّ تمرة، فمن لم يجد بكلمة طيبة.

فَإِنِّي لَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْفَاقَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ وَمُعْطِيْكُمْ حَتَّى تَسِيرَ الظَّعِينَةُ مَا بَيْنَ يَثْرَبَ وَالْحِيرَةِ وَأَكْثَرُ مَا يُخَافُ عَلَى مَطِيَّتِهَا السُّرَاقُ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ فِي نَفْسِي: فَإِنَّ لِصُوصُ طَيِّبٍ؟!

س: ما الفرق بين السُّرَاقِ واللُّصُوصِ؟

ج: هم السُّرَاقُ، اللُّصُوصُ هم السُّرَاقُ.









فَصْلٌ

ذِكْرُ قِصَّةِ كَعْبَ بْنِ زَهِيرَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

وَكَانَتْ فِيمَا بَيْنَ رُجُوعِهِ مِنَ الطَّائِفِ وَغَزَّوَةَ تَبُوكَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ كَتَبَ بِجِيرَ بْنِ زَهِيرٍ إِلَى أَخِيهِ كَعْبٍ يُخْرِهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَلَ رَجَالًا بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوْهُ وَيُؤْذِيهِ، وَأَنَّ مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعَرَاءِ قُرَيْشٍ: ابْنُ الزَّبْرُعِيْ وَهَبِيرَةَ بْنَ أَبِي وَهَبٍ قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَطَرِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا مُسْلِمًا، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجُ إِلَى نَجَائِكَ.

وَكَانَ كَعْبٌ قَدْ قَالَ:

فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَيَحْكَ هَلْ لَكَ

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي بِجِيرَارِ رسَالَةً

عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلِكَا

فَبَيْنِ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ

عَلَيْهِ وَلَمْ تُذْرِكْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَا

عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أَمَّا وَلَا أَبَا

وَلَا قَائِلٍ إِمَّا عَنْرَتْ لَعَالَكَا

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِإِسْفِ

فَأَنَّهُ لَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَكَا

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَاسًا رَوَيَّةً

قَالَ: وَبُعِثَ إِلَيْهَا إِلَى بِجِيرٍ، فَلَمَّا أَتَتْ بِجِيرًا كَرِهَ أَنْ يَكْتُمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْشَدَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَقَاكَ الْمَأْمُونُ، صَدَقَ وَإِنَّهُ لَكَذُوبٌ، أَنَا الْمَأْمُونُ، وَلَمَّا سَمِعَ "عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أَمَّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ" قَالَ: أَجَلٌ، قَالَ: لَمْ يُلْفِ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلَا أُمَّهُ.

ثُمَّ قَالَ بِجِيرٍ لَكَعِ:

تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْرَمُ

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي التِّي

فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَحْدَهُ

إِلَى اللَّهِ لَا الْغُرْبَى وَلَا الْلَّاتِ وَحْدَهُ

لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ

مِنَ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقُلُبُ مُسْلِمٌ

وَدِينُ زَهِيرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي التِّي

فَلَمَّا بَلَغَ كَعْبًا الْكِتَابُ ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ، وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَرْجَفَ بِهِ مَنْ كَانَ فِي حَاضِرِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، فَقَالَ: هُوَ مَقْتُولٌ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مِنْ شَيْءٍ بُدِّا قَالَ قَصِيدَتُهُ الَّتِي يَمْدُحُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَذَكَرَ خُوفَهُ وَإِرْجَافَ الْوُشَاءِ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، ثُمَّ حَرَّجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ عَلَى رَجُلٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

مَعْرِفَةٌ مِنْ جُهَيْنَةَ، كَمَا ذُكِرَ لِي، فَعَدَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ فَقُمْ إِلَيْهِ فَاسْتَأْمِنْهُ.

فَذُكِرَ لِي أَنَّهُ قَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَوَرَضَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَعْرِفُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ كَعْبَ بْنَ زَهِيرَ قَدْ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَنِي تَائِبًا مُسْلِمًا، فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْنَاهُ إِلَيْهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَعْبَ بْنَ زَهِيرَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنُ قَتَادَةَ أَنَّهُ وَثَبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي وَعَدُوَّ اللَّهِ أَضْرِبُ عُنْقَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعْغَةً عَنْكَ، فَقَدْ جَاءَ تَائِبًا نَازِعًا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَغَضِبَ كَعْبٌ عَلَى هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ لِمَا صَنَعَ بِهِ صَاحِبُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَقَالَ قَصِيدَتُهُ الْلَّامِيَّةُ الَّتِي يَصِفُ فِيهَا مَحْبُوبَتَهُ وَنَاقَتَهُ، الَّتِي أَوْلَاهَا:

مُتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولٌ

بَانْتُ سُعَادُ فَقَبِّي الْيَوْمَ مَتْبُولٌ

إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سَلْمَى لَمَقْتُولُ

يَسْعَى الْغُواْةُ جَنَابِيْهَا وَقَوْلُهُمْ

لَا أَلَّهِيْنَكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ

وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ أَمْلَهُ

فَكُلُّ مَا قَدَرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ

فَقُلْتُ خَلَوَا طَرِيقِي لَا أَبَا لَكُمْ

يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءَ مَحْمُولٌ

كُلُّ ابْنٍ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ

وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ

نُبْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْ عَدَنِي

فُرْقَانٌ فِيهَا مَوْاعِظٌ وَتَفْصِيلٌ

مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ

أَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقْوَيْلِ

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاءِ وَلَمْ

أَرَى وَأَسْمَعَ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ

لَقْدْ أَفَوْمُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَشْوِيلٌ

لَظَلَّ تُرْعَدُ مِنْ حَوْفِ بَوَادِرُهُ

فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ قَوْلُهُ الْقِيلُ

حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنْزَعْهَا

وَقِيلٌ: إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْؤُولٌ

فَلَهُ أَخْوَفُ عِنْدِي إِذْ أَكَلَمُهُ

فِي بَطْنِ عَثَرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلٌ

مِنْ ضَيْغَمِ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مُخْدَرُهُ

لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلٌ

يَغْدُو فَيْلَحُمُ ضِرْ غَامِيْنِ عَيْشُهُمَا

أَنْ يَتْرُكُ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَفْلُولٌ

إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحْلُّ لَهُ

وَلَا تَمْشَى بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ
 مُضَرَّبُ جَبَرٍ وَالدُّرْسَانِ مَأْكُولُ
 مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
 يُبَطِّنُ مَكَةً لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
 عِنْدَ الْلِقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ
 ضَرْبٌ إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ
 مِنْ نَسْجٍ دَأْوَدَ فِي الْهَيْجَانِ سَرَابِيلُ
 كَانَهَا حَلْقُ الْقَفَعَاءِ مَجْدُولُ
 قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيًّا إِذَا نَيَّلُوا
 وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوَرِ نَافِرَةً
 وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ
 إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
 فِي عُصَبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ
 يَمْسُونَ مَشْيِ الْجِمَالِ الرَّهْرِ يَعْصِمُهُمْ
 شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمْ
 يُبِينُ سَوَابِغُ قَدْ شُكِّتْ لَهَا حَلْقٌ
 لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ تَأْلُثْ رِمَاحُهُمْ
 لَا يَقْعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنُ قَتَادَةَ: فَلَمَّا قَالَ كَعْبٌ: "إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ"، وَإِنَّمَا عَنِي
 مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؛ لِمَا كَانَ صَاحِبُنَا صَنَعَ بِهِ مَا صَنَعَ، وَخَصَّ الْمُهَاجِرِينَ بِمِدْخَتِهِ، غَضِبَتْ عَلَيْهِ
 الْأَنْصَارُ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

فِي مَقْتَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
 إِنَّ الْخَيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
 يَوْمَ الْهَيَاجِ وَسَطْوَةِ الْجَبَارِ
 بِالْمَسْرَفِيِّ وَبِالْقَنَّ الْخَطَارِ
 لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَاقِي وَكِرَارِ
 بِدِمَاءِ مَنْ عَلَقُوا مِنَ الْكُفَّارِ
 أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَغْفارِ
 لِلْطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَرْلَ
 وَرَثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
 الْبَادِلِينَ تُفُوسُهُمْ لِنَبِيِّهِمْ
 وَالْذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ
 وَالْبَائِعِينَ تُفُوسُهُمْ لِنَبِيِّهِمْ
 يَتَطَهَّرُونَ يَرَوْنَهُ نُسُكًا لَهُمْ
 وَإِذَا حَلَّتْ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ
 قَوْمٌ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ
 وَكَعْبَ بْنَ زَهِيرَ مِنْ فُحُولِ الشُّعَرَاءِ هُوَ وَأَبُوهُ وَابْنُهُ عَقبَةُ، وَابْنُ ابْنِهِ الْعَوَامُ بْنُ عَقبَةَ، وَمِمَّا يُسْتَحْسَنُ
 لِكَعْبٍ قَوْلُهُ:

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبَ مِنْ شَيْءٍ لَاَعْجَبَنِي
 سَعْيُ الْفَتَى وَهُوَ مَخْبُوءٌ لَهُ الْقَدْرُ
 يَسْعَى الْفَتَى لِأَمْوَارِ لَيْسَ يُدْرِكُهَا
 فَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهُمْ مُنْتَشِرُونَ
 وَالْمَرْءُ مَا عَانَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمْلٌ
 لَا تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِي الْأَثْرُ
 وَمِمَّا يُسْتَحْسَنُ لَهُ أَيْضًا قَوْلُهُ فِي النَّبِيِّ ﷺ:

ثُحْدَى بِهِ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا لِلْبُرْدِ كَالْبُرْدِ جُلُّ لَيْلَةِ الظُّلُمِ

فَفِي عِطَافِيهِ أَوْ أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينِ وَمِنْ كَرَمِ

الشيخ: يحتاج إلى عناية، طرقها بعض الناس ما يراها ثابتةً، والمشهور أنها ثابتة، لكن تحتاج إلى
عنابة، ما علق المحسني؟

الطالب: ما عليه شيء.

س: بعض الإخوة يسأل يقول: هناك بعض الصور لمدائن صالح وغيرها، فهل يجوز تعليقها في
البيوت؟ وهناك مجسمات أيضاً لمدائن صالح؟

ج: الظاهر لا يجوز تعليقها، ما دام الرسول^ص كره دخولها إلا لباقٍ فلا ينبغي تعليقها.

س:؟

ج: نعم.









وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، مِنْهُمْ وَدِيْعَةُ بْنُ ثَابِتَ، أَخُو بْنِي عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ، وَمِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ حَالِيفَ لِبْنِي سَلَمَةَ يُقَالُ لَهُ: مَخْشِي بْنُ حَمِيرٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتَحْسَبُونَ جَلَادَ بْنِي الْأَصْفَرَ كَفِتَالَ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ؟! وَاللَّهِ لَكُنَا إِنْ كُنَّا غَدَّا مُقَرَّبِينَ فِي الْجَبَلِ -إِنْ جَافَّا وَتَرَهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ- فَقَالَ مَخْشِي بْنُ حَمِيرٍ: وَاللَّهِ لَوْدِدْتُ أَنِّي أَقْاضِي عَلَى أَنْ يُضْرِبَ كُلُّ مِنَّا مِئَةً جَلْدَةً، وَإِنَّا نَنْفَلْتُ أَنْ يَنْزَلَ فِينَا قُرْآنٌ؛ لِمَقَاوِلَكُمْ هَذِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمَّارَ بْنِ يَاسِرٍ: أَدْرَاكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا، فَسَلَّمُهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلْ قَلْتُمْ كَذَّا وَكَذَا، فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ وَدِيْعَةُ بْنُ ثَابِتَ: كُنَا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ [التوبه: 65]، فَقَالَ مَخْشِي بْنُ حَمِيرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي. فَكَانَ الَّذِي عُفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَتَسَمَّى: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ، فُقْتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ.

س: قوله: "قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي" كناية عن أيش؟

ج: مَخْشِي بْنُ حَمِيرٍ يعني.

س:؟

ج: لا، وقع في هذه الكلمة التي قالها وَدِيْعَةُ بْنُ ثَابِتَ، وَنَدَمَ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

س:؟

ج: بَابُ التَّوْبَةِ مفتوحٌ.

س:؟

ج: يتوبون بعدها، يتوبون بعد الكفر.

س: الآية تدل على أنَّ منهم من لم يتتب؟

ج: إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ [التوبه: 66] يعني: ما تابوا توبَةً صادقةً.

س:؟

ج: نعم، ما في شك.

وَذَكَرَ ابْنُ عَائِدَ فِي "مَعَازِيهِ" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ نَزَلَ تَبُوكٍ فِي زَمَانٍ قَلَ مَاوْهَا فِيهِ، فَاغْتَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ غَرْفَةً بِيَدِهِ مِنْ مَاءِ، فَمَضْمَضَ بِهَا فَاهُ، ثُمَّ بَصَقَهُ فِيهَا، فَفَارَتْ عَيْنُهَا حَتَّى امْتَلَأَتْ، فَهِيَ كَذَلِكَ حَتَّى السَّاعَةِ.

فَلْتُ: في "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" أَنَّهُ قَالَ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا: إِنَّكُمْ سَتَأْثُونَ عَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارَ، فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمْسَنُ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتَيَ، قَالَ: فَجِنْتَاهَا، وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا رَجُلٌ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَابِ تَبْضُغُ شَيْئًا مِنْ مَاءِ، فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ: هَلْ مَسْتَسْتَمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟ قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَبَهُمَا النَّبِيُّ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ غَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْئِهِ، وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِ وَجْهَهُ وَيَدِيهِ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءِ مُنْهَمِ.

الشيخ: هذا من آيات الله، ومن معجزات نبيه عليه الصلاة والسلام، مثلما جاء في بئر الحديبية لما غسل وجهه ويديه وألقى الماء فيها ثارت بالماء، ومثلما نبع من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام، كل هذا من آيات الله التي أجرها لنبيه ﷺ، إقامةً للحجّة، وقطعًا للمعذرة، فهي من المعجزات.

س: قوله: فسبّهما؟

ج: لعصيانهما، دلَّ على أنهما سمعا الخبر؛ لأنَّه قال: مَنْ سبق إِلَيْهِ فَلَا يَمْسِهِ.

س:؟

ج: ظاهره السب المعرف، دعا عليهما، أو غير ذلك.

فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءِ مُنْهَمِ حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: يُوشِكُ يَا معاذ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةً أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ حَنَانًا.

الشيخ: قد وقع ذلك، إلى الآن فيها البساتين والمزارع العظيمة.

فَصْلٌ

وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ إِلَى تَبُوكٍ أَتَاهُ صَاحِبُ أَيْلَةَ، فَصَالَحَهُ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ، وَأَتَاهُ أَهْلُ جَرَبَا وَأَذْرُخَ فَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ، وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدُهُمْ، وَكَتَبَ لِصَاحِبِ أَيْلَةَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ النَّبِيُّ رَسُولُ اللَّهِ لِي حَنَةَ بْنِ رُوبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ، سُفْنِيْمُ وَسَيَارَتِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، لَهُمْ ذَمَّةُ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ النَّبِيُّ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لِمَنْ أَحْدَثَ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يَمْنَعُوا مَاءً يَرْدُونَهُ، وَلَا طَرِيقًا يَرْدُونَهُ مِنْ بَحْرٍ أَوْ بَرِّ.

فَصْلٌ

في بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة، وهو أكيدر بن عبد الملك، رجلٌ من كندة.

الشيخ: دومة هي المعروفة الآن بالجوف.

وكان نصرانياً، وكان ملكاً عليها، فقال رسول الله ﷺ لخالد: إنك ستُحدِّثُ يصيُّد البقر، فخرج خالد حتى إذا كان من صنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صافية، وهو على سطح له، ومعه أمرأته، فباتت البقر تحاكي بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترأك هذه؟ قال: لا أحد، فنزل فامر بقرسيه فأسرح له.

الشيخ: يعني بقر الوحش، وهي صيد.

وركب معه نفرٌ من أهل بيته، فيهم أحٌ له يُقال له: حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته، وقتلوا أحاه، وقد كان عليه قيام من ديناج مخصوص بالذهب، فاستتبه خالد، وبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه، ثم إن خالداً قدما بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقن له دمه، وصالحة على الجريمة، ثم خلى سبيله فرجع إلى قريته».

وقال ابن سعيد: بعث رسول الله ﷺ خالداً في أربعين وعشرين فارساً. فذكر نحو ما تقدم، قال: وأغار خالد أكيدراً من القتل حتى يأتني به رسول الله ﷺ، على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل، وصالحة على ألفي بعير، وثمانين رأس، وأربعين درع، وأربعين رمح، فعزل للنبي ﷺ صفيه خالصاً، ثم قسم الغنيمة فآخر الخمس، فكان للنبي ﷺ، ثم قسم ما بقي في أصحابه، فصار لكل واحد منهم خمس فرائض.

وذكر ابن عائذ في هذا الخبر أن أكيدراً قال عن البقر: والله ما رأيتكما قط أتننا إلا البارحة، ولقد كنت أضمُّ لها اليومين والثلاثة، ولكن قدر الله.

الشيخ: أضم: يُضم الخيل، يعني من تضمير الخيل للمطالبة، لمطالبتها.

قال موسى بن عقبة: واجتمع أكيدر ويحنة عند رسول الله ﷺ، فدعاهما إلى الإسلام فأبى.

الشيخ: يحنة صاحب أيلة، على جانب البحر.

وأقرًا بالجريمة، فقضاهما رسول الله ﷺ على قضية دومة، وعلى تبوك، وعلى أيلة، وعلى تيماء، وكتب لهم كتاباً.

رجعنا إلى قصّةٍ تبُوكَ: قال ابن إسحاق: فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُتْبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةً لَيْلَةً لَمْ يُجَاوِرْهَا، ثُمَّ أَنْصَرَهُ قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ فِي الطَّرِيقِ مَاءٌ يَخْرُجُ مِنْ وَشْلٍ يَرْوِي الرَّاكِبَ وَالرَّاكِبَيْنَ وَالثَّالِثَةَ، بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ: وَادِي الْمُشْقَقَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ فَلَا يَسْتَقِنَّ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيهِ، قَالَ: فَسَبَقُهُ إِلَيْهِ نَفَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَاسْتَقَوا، فَلَمْ يَرِ فِيهِ شَيْئًا، فَقَالَ: مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هَذَا الْمَاءِ؟ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَقَالَ: أَوْلَمْ أَنْهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى آتَيْهُمْ؟! ثُمَّ لَعَنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَعَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ نَزَلَ فَوْضَعَ يَدَهُ تَحْتَ الْوَشْلِ، فَجَعَلَ يَصْبُرُ فِي يَدِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَصْبُرَ، ثُمَّ نَصَحَّهُ بِهِ وَمَسَحَّهُ بِيَدِهِ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُ بِهِ، فَانْخَرَقَ مِنَ الْمَاءِ كَمَا يَقُولُ مَنْ سَمِعَهُ - مَا إِنَّ لَهُ حِسَّ الصَّوَاعِقِ، فَشَرِبَ النَّاسُ وَاسْتَقَوا حَاجَتَهُمْ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَئِنْ بَقِيتُمْ، أَوْ مَنْ يَقِيَ مِنْكُمْ لَيَسْمَعَنَّ بِهَذَا الْوَادِي وَهُوَ أَخْصَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ.

فُلُثُ: ثَبَتَ فِي "صَاحِحِ مُسْلِم": أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُصْحِي التَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمْسَسُ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا الْحَدِيثُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

فَإِنْ كَانَتِ الْقِصَّةُ وَاحِدَةً فَالْمَحْفُوظُ حَدِيثُ مُسْلِمٍ، وَإِنْ كَانَتْ قِصَّتَيْنِ فَهُوَ مُمْكِنٌ.

قال: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ الْحَارِثِ التَّيْمِيُّ: أَنَّ عَبْدَالَلَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ: فَمُثُ مِنْ جَوْفِ الظَّلَلِ وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَرَأَيْتُ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ، فَاتَّبَعْتُهَا أَنْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرٌ، وَإِذَا عَبْدَالَلَّهُ ذُو الْبَجَادِينَ الْمَزْنِيَّ قَدْ مَاتَ، وَإِذَا هُمْ قَدْ حَفَرُوا لَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حُفْرَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرٌ يُدْلِيلُهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَدْنِيَا إِلَيَّ أَخَاكمَا، فَدَلَّيَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا هَيَّأَهُ لِشِفَاهِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَمْسَيْتُ رَاضِيًّا عَنْهُ، فَأَرْضَنَ عَنْهُ، قَالَ: يَقُولُ عَبْدُالَلَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَاحِبَ الْحُفْرَةِ.

الشيخ: عَلَّقَ عَلَيْهِ؟

الطالب: ابن هشام، عن ابن إسحاق، ورجاله ثقات، إلا أنَّ محمد بن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعودٍ، ونسبة الحافظ في "الإصابة" إلى البغوي، وأعلَّه بالانقطاع، وقال: أخرجه ابن منه من طريق سعيد بن الصَّلت، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعودٍ. وَمِنْ طرِيقِ كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه، عن جده، نحوه.

الشيخ: كلا السَّنَدين ضعيف؛ لأنَّ من طرِيقِ محمد بن إبراهيم، عن ابن مسعودٍ منقطع؛ محمد ما أدركه، وكثير بن عبد الله بن عمرو هذا ضعيف أيضًا.

قال ابن هشام: إنما سُميَّ ذا الْبَجَادِينَ؛ لأنَّه كان يُنَازِعُ إِلَى الْإِسْلَامِ فِيمَنْعَهُ قومُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُضَيِّقُونَ عَلَيْهِ، حَتَّى تَرْكُوهُ فِي بَجَادٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ، وَالْبَجَادُ: الْكَسَاءُ الْغَلِيظُ الْجَافِيُّ، فَهُرِبَ مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ

الله ﷺ، فلما كان قريباً منه شقَّ بجاده باثنين، فاتَّر بواحدٍ، واشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ
فقيل له: ذو الجادين بذلك.

.....

س: تأخير دفن الميت؟

ج: إذا دعت المصلحة لا بأس، أقول: إذا أخْر لصالحة لا بأس.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ مَرْجِعُهُ مِنْ غَرْوَةِ تَبُوكَ :إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَأَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًّا إِلَّا
كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ.

الشيخ: وهذا من فضل الله جل وعلا: أن الإنسان الذي له النية الصالحة، ويحبسه العذر، له أجر العاملين، فالذي يمنعه من صلاة الجمعة العذر له أجر الجمعة، والذي يمنعه من الحج العذر له أجر الحج، والذي يمنعه من الجهاد العذر له أجر الجهاد.

وهكذا قال للصحابة لما أتوا تبوك: إنَّ بِالْمَدِينَةِ لَأَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًّا إِلَّا وَهُمْ
مَعَكُمْ، وفي اللُّفْظِ الْآخَرُ: إِلَّا شرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ، قالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ
فِي الْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ يَعْنِي: الْمَرْضُ أَوِ الْعَجْزُ وَدُمُّ الْنَّفَقَةِ. وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ يَقُولُ ﷺ: إِذَا
مَرْضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَحِيحٌ مُقِيمٌ.









فصلٌ

في غزوَةِ تبوكَ

وَكَانَتْ فِي شَهْرِ رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ فِي زَمَنِ عُسْرَةِ مِنَ النَّاسِ، وَجَدْبٌ مِنَ الْبِلَادِ، وَجِينَ طَابَتِ التِّمَارُ، وَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمُقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظَلَالِهِمْ، وَيَكْرُهُونَ شُخُوصَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَّمَا يَخْرُجُ فِي غَزْوَةِ إِلَّا كَثَيْرًا عَنْهَا وَوَرَى بِغَيْرِهَا، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ؛ لِبَعْدِ الشُّفَقَةِ، وَشِدَّةِ الرَّزْمَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جَهَازِهِ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ -أَحَدِ بَنِي سَلَمَةَ- يَا جَدُّ، هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جَلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْتَدْنُ لِي وَلَا تَفْتَنِي؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ يُأْشِدَ عَجَبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَحْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرُ. فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

الشيخ: وهم الروم، بنو الأصفر هم الروم، في قتال الروم من جهة الشام.

وَقَالَ: قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَفِيهِ نَزَّلَتِ الْآيَةُ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَنَّنْ لِي وَلَا تَفْتَنِي [التوبه:49].

وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُنِ: لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ الْآيَةُ [التوبه:81].

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَدَّ فِي سَفَرِهِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ.

الشيخ: وغزوَةِ تبوكَ غزوَةٌ عظيمةٌ؛ ولها جلاها للناس، وبينها للناس عليه الصلاة والسلام، ولم يُورِّ عنها، وذلك لغزوِ الروم في الشام، وكانت في سنة تسع من الهجرة، في حرٍّ شديدٍ، وشدة من المؤنة، والله أمره بها، فاشتد ذلك على المنافقين، نسأل الله العافية.

وَحَضَرَ أَهْلَ الْغَنِيَّ عَلَى النَّفَقَةِ وَالْحِمَالَنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَحَمَلَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْغَنِيَّ وَاحْتَسَبُوا، وَأَنْفَقَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ فِي ذَلِكَ نَفَقَةً عَظِيمَةً لَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِثْلَهَا.

فُلُثُ: كَانَتْ ثَلَاثِمِئَةٌ بَعِيرٌ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا وَعُدْتَهَا، وَأَلْفَ دِينَارٍ عَيْنَاً.

وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الرُّومَ قَدْ جَمَعُتْ جُمُوعًا كَثِيرًا بِالشَّامِ، وَأَنَّ هِرقلَ قَدْ رَزَقَ أَصْحَابَهُ لِسَنَةً، وَأَجْلَبَتْ مَعَهُ لَحْمًا، وَجُدَامًا، وَعَامِلَةً، وَغَسَانًا، وَقَدَّمُوا مُقْدِمَاتِهِمْ إِلَى الْبَلْقَاءِ، وَجَاءَ الْبَكَّاءُونَ -وَهُمْ سَبْعَةٌ- يَسْتَحْمِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَا أَجُدُّ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، فَتَوَلُّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَقْيِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرَنَا أَنْ لَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ، وَهُمْ سَالِمٌ بْنُ عَمِيرٍ، وَعَلْبَةُ بْنُ زِيدٍ، وَأَبُو لَيْلَى الْمَازْنِيِّ، وَعُمَرُ بْنُ عَنْمَةَ، وَسَلَمَةَ بْنَ صَخْرٍ، وَالْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُغَفِّلٍ، وَمَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: الْبَكَّاءُونَ بَنُو مُقْرَنِ السَّبْعَةِ، وَهُمْ مِنْ مُزَيْنَةَ.

وابن إسحاق يَعْدُ فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ الْحَمَّامِ بْنُ الْجَمْوَحِ.

وَأَرْسَلَ أَبَا مُوسَى أَصْحَابُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِيَحْمِلُهُمْ، فَوَافَاهُ عَضْبَانٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَاهُ إِلَيْهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَنَا حَمَلْتُكُمْ، وَلَكُنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا كَفَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَأَتَيْتُ الدِّيْنِ هُوَ خَيْرٌ.

الشيخ: وهذا هو السنة: إذا حلف الإنسان على شيءٍ ورأى غيره خيراً منه، يأتي الذي هو خير، ويُكفر عن يمينه، كما قال ﷺ: إني والله لا أحلف على يمينٍ فارى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير، وقال ﷺ: إذا حلف أحدكم على شيءٍ ثم رأى ما هو خير منه فليكفر عن يمينه، ول يأتي الذي هو خير.

س:؟

ج: بلـى، قال: والله ما أحملكم.

س:؟

ج: يعني أنَّ الله يسَّرَ الأمَرَ وحملهم لما أتاه الإبل، هو قال لهم أول ما جاءوا: والله ما أحملكم، ولا أجد ما أحملكم عليه، حلف.

فصلٌ

وَقَامَ عَلْبَةَ بْنَ زَيْدَ فَصَلَّى مِنَ اللَّيْلِ وَبَكَى، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَمْرَتَ بِالْجِهَادِ وَرَغَبْتَ فِيهِ، ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عَنِّي مَا أَنْتَوْرِي بِهِ مَعَ رَسُولِكَ، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمُلُنِي عَلَيْهِ، وَإِنِّي أَتَصَدِّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ. ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ النَّاسِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ؟ فَلَيَقُمْ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَبْشِرْ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَفَدْ كُتِبَتْ فِي الزَّكَاةِ الْمُتَقَبَّلَةِ.

الشيخ: يعني معناه أنه سامح كلَّ من كان له عنده مظلمة، سامحه لما عجز عن الجهاد، هذا من جهاده، أعلن بيته وبين ربه أنه مسامح كلَّ من ظلمه في شيءٍ.

س:؟

ج: نعم: وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلنَّقْوَى [البقرة: 237]، ما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عَزًّا إِلا إذا كانت المصلحة تقتضي عدم العفو؛ لأنَّ المجرم ما يستحق العفو؛ لأنه لو عُفي عنه زاد شره، هذا له بحث آخر.

وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ، فَلَمْ يَعْذِرْهُمْ.

قال ابن سعد: وهم اثنان وثمانون رجلاً، وكان عبد الله بن أبي ابن سلول قد عسّكر على ثنية الوداع في حلفائه من اليهود والمنافقين، فكان يُقال: ليس عسّكره بأقل العسّكرين.

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري. وقال ابن هشام: سباع بن عرفطة. والأول أثبت.

فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْلَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ أَبِي وَمَنْ كَانَ مَعَهُ، وَتَخَلَّفَ نَفْرٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍ وَلَا ارْتِيابٍ، مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهَلَالُ بْنُ أُمِّيَّةَ، وَمَرَارَةُ بْنُ الرِّبَيعِ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ السَّالِمِيِّ، وَأَبُو ذَرٍّ، ثُمَّ لَحْقَهُ أَبُو خَيْثَمَةَ وَأَبُو ذَرٍّ.

وَشَهَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِّنَ النَّاسِ، وَالْخَيْلُ عَشَرَةُ آلَافٍ فَرِسٍ، وَأَقَامَ بِهَا عِشْرِينَ لَيْلَةً يَقْصُرُ الصَّلَاةُ، وَهَرَقْلُ يَوْمَئِذٍ يُحْمَصُ

قال ابن إسحاق: ولما أراد رسول الله ﷺ الخروج خلف علي بن أبي طالب على أهله، فازجف به المُنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استنقلا وتحفنا منه. فأخذ علي سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف، فقال: يا نبي الله، زعم المُنافقون أنك إنما خلفتني لأنك استتفتنني وتحفنتني، فقال: كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاحلفني في أهلي وأهلك، أفالا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي، فرجع على إلى المدينة.

س:؟

ج: في تبوك نعم؛ لأنه ما أجمع الإقامة عند أهل العلم، يعني ينظر أمر الله: هل يتوجه إلى الشام، أو ما يتوجه؟ ثم أذن الله فرجع، إقامة غير مقصودة، مثلما أقام في مكة لما فتحها.

س:؟

ج: جمع في بعض الأحيان في تبوك.

ثم إن أبي خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أيامًا إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، قد رشت كل واحدة منها عريشها، وبردت له ماء، وهياط له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته وما صنعته له، فقال: رسول الله ﷺ في الصبح والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعم مهيا، وامرأة حسناء في ماله مقيم، ما هذا بالنصف. ثم قال: والله لا أدخل عريش واحداً منكما حتى الحق برسول الله ﷺ، فهينا لي زاداً. ففعلتا، ثم قدم ناضحة فارتاحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك.

وقد كان أدرك أبي خيثمة عمير بن وهب الجمحى في الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً فلَا عليك أن تختلف عني حتى آتى

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَفَعَلَ، حَتَّىٰ إِذَا دَنَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبَوْكٍ، قَالَ النَّاسُ: هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُنْ أَبَا خِيَثَمَةَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ وَاللَّهُ أَبُوكَ خِيَثَمَةً. فَلَمَّا أَنَّاخَ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْلَى لَكَ يَا أَبَا خِيَثَمَةَ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَيْرًا، وَدَعَاهُ لَهُ بِخَيْرٍ.

الشيخ: ٢، وهذه القصة فيها فوائد وعبر:

منها: شرعية الجهاد والصبر على المشقة، وأن الواجب جهاد أعداء الله حسب القدرة.

ومنها: أنه إذا أقام ينتظر العدو فله حكم السفر؛ لأنَّه لا يدرِّي متى يرحل؟ له حكم السفر، له أن يقصر، وله أن يجمع إذا دعت الحاجة إلى الجمع، كما فعل النبي ﷺ.

ومنها: فضل الجهاد، والصبر في الجهاد على المشقة العظيمة، كما فعل النبي ﷺ وفعل المسلمين.

كل هذه مستفادة من غزوة تبوك.

س: معنى "أولى لك"؟

ج: يعني: أولى لك ما فعلت من المجيء والمبادرة إلى الغزو والجهاد.

وقد كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ مَرَ بِالْحِجْرِ بِدِيَارِ ثَمُودَ قَالَ: لَا تَشْرِبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا.







